

نافذة

مفهوم الاعتقاد

ضمن الفكر السياسي والفكر الديني المتشابهين كثيراً، لأن الأول زبني بحكم المظهر ومحيطه، والثاني يخضع الجوهر لكهونه المستند إلى الغيبي المقتنع في الاحتجاجات الإنسانية لدرجة كبيرة، حيث يدعو لنا للبحث في أن الضرورات تبيح المحظورات، ومنها نفتح باب إمكانيات إعادة التأويل في عقائد الماضي، بحكم أن التاريخ يحتاج إلى تجديد شبابه، لا إبقائه مرتكراً على شيخوخته وشيوخه، إن كان في هذا أم في ذاك. كما أن الفكر الديني برمته فكر لامرئي الجوهر إشكالي المظهر، أي إنه يعتمد التأمل العقلي والغيبي التخيلية، لذلك كان التناقض الهائل بينه وبين الفكر العلمي المحسوس، وحتى اللحظة لم يتم فتح باب النقاش حول بنود نظرية الإيمان ودرجاته وقيمتها التي ينبغي أن تنعكس في العلاقات التندينية على الإنسانية، وكذلك أيضاً لم يجر التوقف عند منظومة نسيجها وما يرد لاحقاً من معتنقيها، وذاك البناء القاسي الذي ينبغي تصحيحه بشكل خاص داخل الإنسان المسلم، وأهم ما فيه مقاومة الآخرين بالقوة الغير العاقلة لحظة الاختلاف معهم، أو مع مشاريعهم البنائية؛ فكرية اجتماعية حدثية إبداع جماعي، وهنا أداخل بين لغتنا العربية التي يجب أن ينبري لها علماء اللغة الحديثيون، ليجلوا معاني الخلود التاريخي التي قامت بتقديمه للمشروع الديني الإسلامي بشكل خاص، وعززت الأوهام؛ بل أكثر من ذلك أسكنتها العقل العربي، ما أدى إلى تطوير الوهم وتحويله إلى اعتقاد من خلال الارتباط الوثيق بجذور اللغة الدينية التي لا يمكن لها أن تنمو إلا بالاعتماد على قواعد النحوية وأزمنتها وإعرايها، ما هياً منأخاً صلباً لإنجاز الفقه والاكتساب غير المعترف به من البيانات السابقة، حيث فتح من هذا المثلث مفهوم الخلود وتعلق الفكر السائد بينوده.

من يعتقد أن سورية صدرت المبدعين للعالم العربي والغربي فأرسلوا لها مجرمهم لتدميرها، هل ندرك مفهوم الاعتقاد وأنه يحمل مناهج حياة تتجسد في الليل والنهار؟ ونبعث بينهما عن مساحة معجزاتهما والكشف المستمر عن أسرارهما، الضحك فيها والمكي منها، غزل وخرم، نساء وقمار ومغامرات، تدب بالإيمان وتدين بالكفر، تأملات وظلال شعر وأدب، سياسة ومال وهتافات تدعو للمجون، عقل وجنون، كبرياء وخضوع، من يرد أن يعرف الحياة فعليه أن يفهم الليل جيداً، لأن النهار انشغال وكشف للمخفي والمسكوت عنه، الليل وحده يمتلك القدرة على شراء الإنسان، أما النهار فيبيعه في أسواقه وحواريه، هو منتدياته.

الحياة حالة بوهيميا، وهم يقضي فيه البشر عمرهم الفني فقط، إنها طموح غنى وتشرذم، بؤس وأمل يأبى سعيدة موفورة الاحتجاجات والرفاه، صعوبات على سبيل الطامحين للشهرة والثروة، السلطة والاستقرار تهذيب ميثولوجي وعذابات لا ترضي الأعراف التي قامت عليها، من يحو من؟ الليل أو النهار زائران لا يمكن للإنسان إلا أن يستقبلهما قسراً وطوعاً، فهما النار والنور اللذان صنعا الإنسان، حوله إلى صلب ذي قوة وشكسية، يؤمن ويكفر بهما جمال الحياة ببصره وبصيرته وقلبه، يلتقط القسمة التي تحرك مشاعره وجوده، وكذلك يحيا الأحوال التي تتجسد حوله وعليه والرعب والخوف والضيم، يبني عائلة منها، لنجده في النهاية راعياً أمام معتقد ينتمي إليه عنوة أو بإرادته.

السياسة والدين حالتان لاماديتان، بينما العلم حالة مادية تحتاج لإنجازها إلى براهين صارمة، لأن الثقة لا تحضر إلا بتحققها الملموس عقلياً وبصرياً، بينما مستندات اللامادي تتحرك من العقلانية المؤتمنة التي تعتمد على البداهة البرهانية والثقة في المعنى والتناسق الذاتي، وبها يتأقلم الاعتقاد، ويستوي عند تعريفه الذي يعلمنا أنه حكم ذهني جازم إلى حد ما، يقبل التشكيك وهو الأقرب إلى العلم بالشيء، وهو يختلف مع مفهوم الظن أو التخمين، فاليقين يكون بالنص المقدس واللماهوت والفقه. نصوص تدور حول ماهية المكون الكلي والطلب والأدعية موجهة (ل هو)، فكيف بنا نكف الغارز المعاني، ونكشف عنها وهي غائبة؟ كيف بنا نوظف العالم الإسلامي بشكل عام، والعربي منه الذي يعني في حقيقة أمره أن سواده إسلامي، لأن الارتباط وثيق بين العربي والإسلامي، أي وحدة اللغة والدين، بينما في العوالم الإسلامية وحدة القرآن العربي بلغته العربية، وإنسان الدولة الذي يحيا عليها، وهنا لا ضير أن نسأل: هل الإسلام أخلاق وسلوك، ثقافة كسبية أم اعتقاد موروث وموثق بالمقدس؟ هل هو ثوابت لا تتحرك (فقه سنن)؟ أم أبعاد نظرية مسكونة سابقاً في الماورائيات؟ أم إنه حالة جغرافية تاريخية لم يقدر المسلم الخروج منها وعنها، تعلق المسلم في بعدها النهائي، كمتلازمة له بين الخالق والقيامة وبينه، من دون أن يتحدث فيه، وأن اللغة العربية هي التي قدمت له هذا المفهوم الواسع؛ أو تدميرها بشكل أو بآخر.

من قام يقم قياماً، وحجم المبالغة التي أدخلت على هذا الفعل بأن القيامة هي النفس، وأن لهذه القيامة بعدين؛ الأول أخذ به المسلمون كاعتقاد لامادي، يتحول إلى مادي، أي إن الجسد يقوم بهيئته الكلية، وكذلك فعلاً يتصور الجثة والنار، والبعد الثاني أخذ به أصحاب المقول في إدراك الجهر، وأن الموت حادث بفعل حادث، وأن النفس تترك الجسد بعد انطفاء التفاعلات الكيميائية في جوهر الإنسان، قسرياً أو طبيعياً، بعد انتهاء العمر الفني وعدم قدرتها على الاستمرار في توليد الطاقة.

كيف بنا لا نفتح باب النقاش حول الماورائيات التي قدمت الإله وعلومه، وأنه النفس الكلية المرزعة في أحيائه، وأنها نفوس جزئية، ومن الضروري الخوض في نظريتي البعث الجسدي والقيامة النهائية، أم إنها قيامات مستمرة؛ أيضاً المراحل التي انتهت بانتهاء عبادة الوثن والصنم وتقديم القرابين وصولاً إلى النبوات وإقفال الأبواب بعدها.

دعونا نتحاور بجرأة العلم عن الهيولى والصورة والحركة والمكان والزمان، وهذا الكون بغضائه التي تتسع، وبحث الإنسان الدائم عن سر الروح وتجاربه المستمر حول ماهيتها وتوهماته بين الحياة مالكة النهاية بمعانيها التأنوية والأخرة والأخرية وصولاً إلى الأخيرة المتلطة بسرهما المنحصر في الاعتقاد بأنها تخص الخالق الأزلي من منطق علمي واع غابته إصلاح فكر القائلين على الأديان والمفسدين فيها والتنافس المشرع بينهما. ما هي فلسفة الماضي تعيث فساداً في الأرواح الإنسانية نتاج تصارعها مع فلسفة الحداثة الواقعية والمستقبل المنشود، فما معنى مفهوم الاعتقاد؟ ومن منا لا يعتقد بأن هناك خللاً ما في الاعتقاد؟ السياسي لا يجزم؛ بل يعتقد، لأنه يدع مجالاً للشك، وكذلك على الجميع أن يصلوا إلى هكذا فيما يعتقدون.

د. نبيل طعمة

نزار قباني وشعره.. عمودان من نور واستشراق

إسماعيل مروة

(١)

إنه الشاعر الشاعر إن تحدثت عن الشعارية فهو مثالها وإن بحثت عن الاستشراق فهو القاري لم تحل الحجب والأيام دون قراءته رأها فأحبها أحبها فقدمها سكبها في روحه فأعطاهم خلوداً كانت مغارته وغابته رأها سدره المنتهى والطريق إليها إنها أمه وحبيبته وابنته إنها العطر الذي يغطي الكون وأروها امرأة وأروها قديسة كانت قديسته الحلوة وأمه التي ذوب حبره وأعطى نقي دمه لها ولدته قبل الأوان وأرادها قبل حرية أرادها أن تعشق لأنها تحيا بالعشق حررها من عبوديتها فعبوديتها عبودية إنسان ووطن لم يقبل أن تُشرى بالدرهم وأراد أن تشتري الكون بابتسامتها دخل مقصورتها محرراً وخرج ضافراً إكليلاً من نصر امرأة خسوسون عاماً قضى يحاورها لتكون المهرة التي تعدو ولتكون السماء التي لا تظال وحين غادرتها انتكح التجار سرادقها أعادوها إلى عصر الرقيق وهو من الباب الصغير يرقب يصرخ... يبكي لقد احترق المعبد وانهارت الأركان والمرأة النزارية فقدت هويتها وخسوسون عاماً سفحت على أقدام التجار لم يعد لتلك المرأة التي رسمها وجوداً!

(٢)

إنه الشاعر الشامي إن الشام بالنارنج تعطر بالياسمين تبخر جبال كل طرقاتها وتحت كل حجر رصيف ترك قصيدة جعل كلماته جدائل وكانت حجارة الأرصفة صبانيا أحبها معلقة غزل وديوان لا ينتهي بالحلب الذبائح كانت عنده المذنتة التي ود لوكانها وكان الرجاء أن يصبح قنديلياً لينير طرقاتها إن الشام



ويخشى على الشام العتمة لا يريدوا أن تحيا في الظلمة والظلام أخرج قديسته فيها من الظلام وأراد الشام أن تحيا بعيداً عن الظلمة لا بد... وحده همدد الشام رجاءها لا تعاتبه مد ذراعها لشامه دعماها أن تستريح على زنده أن تعفي بأمان.. لا تخاف ألا تتردد بالاستلقاء على زنده يعرف أن الشام تتعشقه ويعرف أن الشام تترك عبوديته لها فهي كل نساء الكون وهي أعلى مدائن الكون وهي المرصعة على سيف الزمن وهي المعشقة في هشاشة روحه وهي التي أكسبت هشاشته صلابة حملها في وجهه وصوته في حنائه وغضبه جبال بها الكون وحين عشقت الشام قوله قال لها: أجمل الحب حب بعدما قبلا والشام ترقب وتسال ماذا بعد؟ ماذا يمكن أن يكون وفي مثل هذا اليوم دلف إلى الباب الصغير انظر بهود طفل كبير شد لحاف التراب فوق جسده وارتاح إلى جوار القديسين

(٣)

وحين انفض الجمع ابتسم للشام وقال لها: هذا هو الحب الذي لم يقُل وهو الأعظم هذا الذي لا حب بعده أقام عرس قافية وقصيد رجب بشعراء الأرض المحتلة أهدى الدريوش سلاماً أعطى الزباد سلاماً وعلى أوتار أم كلثوم التي ترقبه رسم طريق فلسطين إلى فلسطين طريق واحد يمر من فوهة بندقية كانت فلسطين صبية حسناء مسبية والقدس يا للعار ينتج عزة نهدبها لمن رغباً! لا المحير هب لأجلها ولا الأعوان خلصوها من السبي على جبال الخليل نادي وفي الطرولون وأعلن نبأ شارون وصرخ على بيت لحم كان دائم السؤال عن فلسطين السبية عن صفد وحيفا والضفة الغربية وكلما دخل قصر الأمير سأل عن خريطة للضفة الغربية لم يقبل رسالة سعاد إلى أهلها في الضفة الغربية

من مفكرة عاشق دمشق



فرشت فوق تراك الطاهر الهدبا فيا دمشق... لماذا نبدا العتبا؟ حبيبي أنت... فاستلقي كأغنية على ذراعي، ولا تستوضي السببا أنت النساء جميعاً... ما من امرأة أحببت بعدك.. إلا خلقتها كذبا يا شام، إن جراحي لا ضفاف لها فأمسحي عن جبيني الحزن والتعبا وأرجعيني إلى أسوار مدرستي وأرجعي الحبر والطبشور والكتبا تلك الزوارب كم كثر طمرت بها وكم تركت عليها ذكريات صبا وكم رسمت على جدرانها صوراً وكم كسرت على أدرجها لعبا أتيت من رحم الأحران.. يا وطني أقبل الأرض والأبواب والشهبا حبي هنا.. وحبيبتي ولدن هنا فممن يعيد في العمر الذي ذهب؟ أنا قبيلة عشاقٍ بكاملها ومن مومي سقيت البحر والسحبا فكل صفصافة حولتها امرأة وكل منة رصعتها نهبيا هذي البساتين كانت بين أمتعتي لما ارتحلت عن الفحصاء مغربيا فلا قبيص من القمصان البسة إلا وجدت على خيطانه عبا كم مبحر.. وهوم البر تسكنه وهارب من قضاء الحب ما هربا يا شام، أين هما عبتا معاوية وأين من زحمو بالمتكبر الشهبيا فلا خيول بني حمدان راقصة زهوا... ولا المتنبئ مالى حلبا وقبر خالد في حصص تلامسة فيرجف القبر من زواره غضبا يا رب حبي.. رخاص القبر مسكنه ورب ميت.. على أقدامه انتصبا يا ابن الوليد.. ألا سدف تؤجره؟ فكل أسيافنا قد أصبحت خشبا دمشق، يا كثر أحلامي ومروحتي أشكو العروبة أم أشكو لك العروبا؟ أدمت سياط حزيران ظهورهم فادمنوها.. وباسوا كغ من ضربا

أصبح عندي الآن بندقية

أصبح عندي الآن بندقية إلى فلسطين خذوني معكم إن رباً حزينة كوجه المجدلية إلى القباب الخضراء والحجارة النبية عشرون عاماً وأنا أبحث عن أرض وعن هوية أبحث عن بيتي الذي هناك عن وطني المحاط بالأسلاك أبحث عن طفولتي وعن رفاق حارتي عن كتيبي... عن صوري عن كل ركن دافئ وكل مزهرية إلى فلسطين خذوني معكم يا أيها الرجال أريد أن أعيش أو أموت كالرجال أصبح عندي الآن بندقية قولوا لمن يسأل عن قضيتي

خبز وحشيش وقمر

عندما يولد في الشرق القمر... فالسجاسجيد.. والآف السلال.. وقدرا الشاي.. والأطفال.. تحتل التلال في بلادي حيث يبكي السانجون ويعيشون على الضوء الذي لا يبصرون.. في بلادي حيث يحيا الناس من دون عيون.. حيث يبكي السانجون.. ويصلون.. ويزنون.. ويحبون أتكال.. منذ أن كانوا يعيشون أتكال.. وينادون الهال: «يا هال!.. أيها النبع الذي يجرط ماس.. وحشيشاً.. ونعاس.. أيها الرب الرخامي الملق أيها الشبيء الذي ليس «صديق».. دمت للشرق.. لنا عقود ماس للملابيين التي عطلت فيها الحواس في ليالي الشرق لما.. يبلغ اليرب تمامه.. يتعري الشرق من كل كرامه ونضال.. يتولانا إذا الضوء تدفق فالسجاسجيد.. والآف السلال.. يتحرك النباب الحوانيت ويمضون زيمر للاملاق القمر.. يحملون الخبز.. والحاكي.. إلى راس الجبال ومعدات الخدر.. ويبعون.. ويشرون.. خيال ويموتون إذا عاش القمر.. ما الذي يفعله قرص ضياء؟ بلادي.. بلبل الأنيباء.. كالذي عند السماء؟ كسلا.. ضفعا.. يستجيبون إلى موتى إذا عاش القمر.. ويظهون قبور الأولياء.. عليها ترزقهم رزاً.. وأطفالاً.. قبور الأولياء ويبدون السجاسجيد الأنيبات الطروس.. يتسلون بأقويون نسيمي قدر.. وقضاء.. في بلادي.. في بلاد البسطاء.. أي ضعفٍ وانحلال..